SIATS Journals

The Journal of Media and Social Studies for Specialized Research (JMSSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

مجلة الإعلام والعلوم الاجتماعية للأبحاث التخصصية

العدد 1، المجلد 1، نيسان 2016م.

e ISSN 0127-7448

التحديات التي تواجه الاعلام الرقمي في الوطن العربي

عصام سليمان الموسى

قسم الصحافة / جامعة فيلايلفيا

عمان / الاردن

issamm50@yahoo.com

1437هـ –2016م

ARTICLE INFO
Article history:
Received 12/8/2015
Received in revised form 20/9/2015
Accepted 1/4/2016
Available online 15/4/2016

ABSTRACT

The present new Digital Communication Revolution is the fourth in history follows three other Communications Revolutions: The Alphabet (1500 B.C.), Printing Press (1439 A.D.), and the Electronic (1835 A.D.). Digitalization allo for the coming of globalization. The World Wide Web at present connects 40% world population allowing them to interact. At the same time, multinational m and advertising corporations, stationed mainly in the Center States, market t products in Marginal States, in a manner that favors Electronic Colonialism, encourage consumerism. On the other hand, the present media revolution he create an Arab Spring. Thus the main question this paper tackles is: what is nature of the present media climate in Arab Countries, and what are the challe that face its growth. The paper ends with presenting 12 such challenges.

الملخص

بدأ عصر الاتصال الرقمي (او الرقمنة) قبل ربع قرن تقريبا حين تم دمج قنوات الاتصال الإعلامية (الصحفية والإذاعية والتلفزية) في تسعينيات القرن العشرين بعضَها ببعض(Media Convergence)، وصار بإمكان الفرد العادي إرسال واستقبال رسائل عبر الطريق السريع من هاتفه الذكي إلى أي مكان في العالم. قدوم الرقمنة آذن بقدوم الثورة الرابعة في الاتصال. ومن ظواهرها إن 40% من سكان المعمورة يستخدمون شبكة الإنترنت حاليا، أي ما يعادل ثلاثة مليارات نسمة. وفي الدول العربية، يتنامى استخدام الشبكة، ففي الأردن مثلا بلغ عد مستخدمي الأنترنت نهاية عام 2014 حوالي4.86 مليون (من مجموع سبعة ملايين مواطن)، وان هناك عشرة ملايين خط خليوي (جريدة **الرأي** 2013/12/4). هذه القنوات شكلت خطرا جزئيا على الصحافة الورقية والإعلام الإلكتروني ممثلا بالإذاعة والتلفاز. لكن الهاتف الخليوي، وهو جهاز تبادلي يمثل الثورة الرقمية المعاصرة بإمكاناته الفنية، يحمل أخطار التجسس (انظر مثلا: الموقع التالي https://www.youtube.com/embed/Q8xz8xKEFvU).

لا يسعنا امام قدرة وسائل الإعلام الرقمية وخطرها، إلا أن نحني رؤوسنا احتراما لبطلين سيخلدهما التاريخ، هما جوليان أسانج وأدوارد سنودون، أسترالي وأمريكي، وكلاهما مطارد من سلطات بلديهما ودول أخرى لأنهما كشفا أخطر عمليات التجسس التي تمارسها أمريكا، موطن التكنولوجيا الرقمية ومصدرتها، على الإنسانية.

1– استحقاقات الرقمنة

للرقمنة استحقاقات مثل اي ثورة اتصالية–اعلامية سابقة، ذلك ان زيادة انتشار المعرفة يقود في النهاية الى توسيع دائرة الحرية والتعريف بحقوق الأفراد والمطالبة بها بعد سنوات القهر الطويلة (Innis, McLuhan) .

وفي عصرنا الحالي، المعروف بعصر الاتصال الرقمي، تمييزا له عن عصور الاتصال الأربعة السابقة، وهي: الشفوي، وعصر الكتابة، وعصر المطبعة، وعصر الاتصال الإلكتروني، يكرّس الإنسان، الصغير والكبير على حد سواء، وقتا أطول مما كرسه في أي عصر مضى لوسائل الاتصال: إما قارئا لجريدة، او مشاهدا لبرامج التلفاز، او مستمعا للإذاعة، او متصفحا شبكة الإنترنت، او ملتحما مع الهاتف الذكي المحمول، او قائما ببعض هذه النشاطات الاتصالية، او كلها في يومه. وكان من نتيجة امتلاك تكنولوجيا الاتصال هذه، ان صار الفرد يكرّس وقتا أطول لوسائل الإعلام من أي عصر مضى، سواء مرسلا للرسائل (التي تتراوح بين رسالة صغيرة مؤلفة من بضع كلمات في التويتر الى رسالة مصورة مأخوذة بالهاتف الذكي لتجمع او حادث)، او مستقبلا لرسائل مماثلة بعضها يرد من معارف او مواقع الكترونية. وظهر الصحفي المواطن.

هذا الدور المتزايد لوسائل الاتصال دفع بالعلماء منذ القديم لأن يطلقوا على مخرجات وسائل الإعلام اسم: الثقافة

الإعلامية، أو ثقافة الاتصال الجماهيري (Mass Culture) ، اعترافا بدورها الفاعل بأمرين هما:

أولا: يصبح الاتصال الجماهيري ثقافة يتعلم منها الإنسان السلوكيات الإيجابية فترتقي بشخصه، والسلبية الهابطة فتحط به وبشخصه، وتنعكس بالتالي سلبا أو إيجابا على المجتمع. ولهذا السبب أحلها العلماء في مرتبة موازية، ذات وزن مثل بقية أنواع الثقافة الأخرى، ومنها ثقافة الصفوة (Elite Culture) أي ثقافة الفكر الراقي والمتفلسف، أو ثقافة المأثورات الشعبية (Folk Culture) مثل قصص التراث والأغاني الشعبية.

وثانيا: يصبح الاتصال الجماهيري أحد عناصر عملية التنشأة الاجتماعية التي في مجملها تعمل منذ الصغر على تكوين شخصية الإنسان، مثلها مثل الأسرة والمدرسة والرفاق.

وهكذا تصبح حقا وسائل الاتصال، وما تحمله من معلومات، مكونا من مكونات الشخصية، والرأي العام، والثقافة، والحياة بالإجمال.

2- إنجازات الرقمنة:

وإذا اعترفنا بهذا الدور لوسائل الاتصال في حياتنا، فعلينا أيضا ان نعترف ان الإنسان العربي استفاد منها في الربيع العربي وخاصة نجاحها الساحق المتمثل في إسقاط نظام الرقابة censorship المسبقة، ومساهمتها في نشر المعلومة "المتمردة" على نظام السلطة القائمة في البلدان العربية. وساهمت أيضا بنشر ''المعلومة المتمردة" في البلدان العربية، وازدادت خطورتُها مع قدوم صحافة الكترونية لا تُلجم، أسهمت في قدوم ''الربيع العربي''. حولت الرقمنة الإعلام العربي الى اتصال تبادلي لا جماهيري وأوجدت مناخا جديدا؟ فما طبيعته؟

- المناخ الجديد

من لا يتقن لعبة الاتصال الرقمي يظل خارج الزمن. مثال: القدس كما تشرحها موسوعة الوكيبيديا 366 مصدرا لا حضور للعرب فيها.. وهكذا تحتل القدس فكريا كما عسكريا.

مع العصر الرقمي، ظهر'' الصحفي المواطن'' ... وربما الأصح ''المنفعل''! الحرية الإعلامية المرجوة لم تتبلور، لأن الحرية ثقافة، وصار الأمر شبيها بواقع مليء بانفلات إعلامي. اختلط في الواقع الإعلامي: الصحفي المختص بغير المختص.

- فجوة المعرفة

بعد فتوى شيخ الإسلام العثماني بمنع المطبعة باعتبارها "رجس من عمل الشيطان" (مروة)، جمدت الحياة في ديار الإسلام حتى عام 1727م حين صدرت فتوى أجازت استخدام المطبعة للمسلمين. في أثناء فترة حظر المطبعة، قام

اللبنانيون الموارنة بحفظ جذوة التراث العربي وهاجة، ولهم الفضل في إشعال نور المعرفة الذي خبا، درجة أن العثمانيين الأتراك المتعصبين من جماعة الاتحاد والترقي سعوا ناشطين إلى "تتريك" الأمة العربية، وعلقوا مشانق المفكرين والصحفيين العربي في مايو 1916 في دمشق وبيروت في ساحتي الشهداء. وكان هذا حافزا لقيام الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف الحسين بن علي التي انتهت بتحرير آسيا العربية –لفترة وجيزة، قبل تكالب قوى الاستعمار الغربي، فرسمت اتفاقية سايكس – بيكو حدود المنطقة حتى يومنا هذا، تماما كما رسم الحدود في افريقيا العربية.

كان من نتيجة فتوى شيخ الإسلام أن تواصلت "الثقافة الشفوية" فحدثت فجوة معرفية مع الغرب تقدر باربعة قرون، عززها استخدام الراديو والتلفاز على نطاق واسع. وهنا يبرز دور الإعلام في جسر هذه الفجوة.

في هذا المناخ: ما التحديات التي تواجه الصحفي–الإعلامي

علينا ان نعترف بأن الوسائل الرقمية اسهمت في بعث جيل معاصر لا تنطلي عليه الدعاية الاعلامية، كما في السابق، بل صار منفتح الذهن لوجهات النظر المتباينة، لكنه خاضع لأولوياته. قبل الرقمنة، كانت وسائل الإعلام تحدد الأجندة التي نفكر بها في الشؤون المحلية والدولية. بعد الرقمنة، فرضت الانترنت (وصنائعها من مثل الهاتف الذكي) أجندة جديدة، عمقت في جوانب منها التواصل الاجتماعي، وأدخلت الانسان العربي مرحلة نضج إعلامي لا مثيل لها في تاريخه، يشوبها خطر الاختراق الثقافي لهويته وتراثه من مصادر خارجية تعمل بدأب على استباحة العقول. ولذا فعلى كاهل الإعلام المعاصر تقع مسؤوليات جسام، وهي بمثابة تحديات كبيرة، نجمل أهمها بالنقاط التالية:

1.1 تحدي حرية التعبير

ان أخطر هذه التحديات في المرحلة الراهنة، والذي لا يجوز السكوت عنه ومناقشته بقوة، هو مبدأ حرية التعبير مقابل تكميم الأفواه: كممت أفواهنا قرونا طويلة حتى لم نعد نحسن الكلام بلغة واحدة. دائما هناك لغة مزدوجة. وما دام هناك خوف قابع في النفوس من قول الحقيقة دون مجاملة، سيبقى الإنسان العربي متخلفا. وحرية التعبير في وطننا مشكلة: فهي جديدة علينا، لم نمارسها أصلا في بيوتنا ومدارسنا، لكن فرضتها علينا حتمية تكنولوجيا الاتصال التي أطلقتها صرخة مدوية، فخرجت مليئة بالأنين والتوجع، ولما سمعنا صوتنا المقهور بعد السكوت الطويل، جاء نشازا غريبا شق الحناجر وأدماها. أُطلقت حرية التعبير من قمقم الربيع العربي عام 1989، وكانت البداية من الأردن، إثر (هبة نيسان) في جنوب الأردن التي نجم عنها مظاهرات واضطرابات ادت الى مقتل عدد من المواطنين. كانت النتيجة ايجابية، اذ تم الغاء الأحكام العرفية، وتلا ذلك انتخابات نيابية جاءت بمجلس نواب قوي إصدر قانون الاحزاب عام 1991 وقانون ليبرالي للمطبوعات عام 1993 رفع سقف حرية التعبير كثيرا، إضافة الى الميثاق الوطني عام

1992. وهناك دول عربية أخرى تنبهت للرقمنة وآثارها الاجتماعية والسياسية فلم يعصف بها الربيع العربي كما عصف نهاية عام 2010 في تونس، ثم مصر، وسوريا،الخ. مما يستدعي مزيدا من تكاتف الجهود في البحث في الإعلام العربي.

فالسؤال اذن: كيف لنا ان نتعاطى حرية التعبير لتصبح مكونا يسري في الدماء؟

نتعاطاها بنجاح حين نعي ان لحرية التعبير ثمن عال: فهي مرتبطة بقيم الصدق والأمانة والأخلاق الرفيعة والجمال والإخلاص والنزاهة والموضوعية والنقد العقلاني والانتماء للوطن والانصاف (وفي هذا المجال، لا يميز بعض الباحثين العرب بين مفهومي العقل والسبب Reason أو الانصاف Fairness والعدالة Justice (انظر الهامش: صالح و مكاوي وابو اصبع).

ان تخلي الإعلامي: بدئا بالصحفي الذي يعمل في وسائل الإعلام، وانتهاء بالصحفي المواطن، عن هذه القيم، معناه خروجه عن قوانين مهنته المقدسة، وممارسته استقواء الكلمة "الخفيفة"، اللامسئولة، وتغليب الثرثرة والإشاعة والقيل والقال والوتوتة، مما يجهد أنفسنا، ويضيع وقتنا موهما اننا ننتج شيئا مفيدا، وهو ليس ذلك، فتصبح وسائل الإعلام سلاحا خطيرا موجها علينا، بدل ان تكون لنا ومعنا.

1.2 الاعلام والصورة التي يصنعها لنا

لأن معظم الإعلاميين لم يروا ارتباط حرية التعبير بالقيم السالفة الذكر، فقد أساؤا لمفهوم حرية التعبير، واساؤا بالنتيجة لشعبهم كثيرا. تحولنا مؤخرا في نظر الإعلام المحلي الى ثلة من الفاسدين واللصوص، وقللنا من هيبة الدولة، والمسئول، وأنفسنا، واتهمنا الكل، بعدم الإخلاص وعدم الوفاء عدا عن مشاكل ضربتنا كريح عاصفة منها: التحرش الجنسي و عنف الجامعات والملاعب. ركزنا على الأخبار المسيئة وضخمناها ولم نترك لشيء قداسته. فعلنا ذلك كله باسم حرية التعبير. أرعبنا إعلامُنا وأفقدنا الثقة بأنفسنا، فصار وبالا علينا، وصار نصيرا للإعلام المعادي، ومنه الغربي في هجومه على الشخصية العربية. صارت وسائل إعلامنا سلاحا موجها ضد كرامتنا: نلتفت حولنا فلا نرى الا الاستقواء والاعتصامات، ونرى وراء كل عمل خيانة وطنية وعملاء. وهكذا عمل إعلامنا على زعزعة ثقتنا بأنفسنا.. وان يفقد شعب ثقته بنفسه فذلك غاية المنى لأعدائه.

وكما تشوهت صورتنا في الداخل كذلك الصورة العربية في الخارج: ان صورتنا في الخارج ليست بأفضل من صورتنا في الداخل. اعطي مثلا: يكتب الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون في مذكراته ان العرب في نظر معظم الأمريكيين "غير متحضرين، متوحشون، قذرون وغير عقلانيين ولكنهم محظوظون لأن أرضهم تحتوي على ثلثي احتياطي العالم من النفط" (علي محافظة، حروب الخليج، ص 14). هذه الصورة التي نطق بها نيكسون هي الصورة التي رسختها وسائل الإعلام منذ عام 1920. إبان أحداث الثورة العربية الكبرى وصفتنا الصحافة الغربية باننا محاربين من اجل

الحرية (freedom fighters). جاءت هذه الصورة في أعقاب الصورة الرومانسية المأخوذة من **الف ليلة وليلة (Mousa)**. بعد سقوط الدولة العربية في ميسلون بدأت الصورة تتغير. صرنا في صحافتهم عصابات إرهابية. وبعد الثورة الكبرى لم نخض معركة واحدة انتصرنا فيها. صرنا مهزومين . ودفعنا الثمن صورة سلبية تنشرها وسائل الاعلام المعادية تنال منا ومن كرامتنا وشخصيتنا القومية. وعمدت وسائل الاتصال الغربية، بما اوتيت من سعة انتشار وقوة تأثير، إلى ترسيخ هذه الصورة السلبية، ونشرتها، في أرجاء العالم كله، فصرنا مضغة في الأفواه، يخجل العربي في بلاد الغرب ان يعلن هويته. وكانت آخر المصائب، وبعد 11 أيلول الشهير لعام 2001، ان تم خلط "الصورة العربية بالصورة الإسلامية " لمقاصد لا تخفى على أحد. لكن المؤسف ان أفعالنا وإعمالنا، خاصة بعد فواجع الربيع العربي، وظهور داعش، صارت تعزز صورة الوحشية التي أشار إليها نيكسون. وبذا لا نجد لنا أصدقاء يحترموننا حيثما توجهنا.

1.3 التمييز ضد المرأة

المجتمع العربي ذكوري يهيمن فيه الرجل على المرأة. والمرأة نصف المجتمع العربي. لكن هذا النصف معطل كقوة عمل منتجة مبدعة. يقول البعض ان بقاء المرأة في المنزل يتركها في حالة تفرغ لبناء جيل قوي. لكن الاحصاءات تكشف ان نسبة الأمية عند المرأة عموما عالية. فكيف لأم غير متعلمة، يصفها الشاعر بأنها "مدرسة"، ان تربي طفلا يستطيع ان يواجه الحياة الحديثة، حياة العولمة. التحدي أمام الإعلام ان يعيد للمرأة كرامتها: اولا بتحرير المرأة نفسها من عقلية الجارية، وثانيا ان يعيد لها حقوقها التي استلبها منها الرجل، وثالثا ان يحولها الى قوة انتاج فاعلة تسهم في بناء الوطن.

1.4 تحدي العولمة

يصف مفهوم العولمة نظاما كونيا تتزايد فيه الانفتاحات السياسية والاقتصادية والثقافية على بعضها البعض بما يؤدي إلى ارتباط الأسواق والثقافات وتداخلها. ولا يتحقق هذا التداخل والانفتاح إلا باستخدام تقانة الاتصال المتطورة يوماً عن يوم. لذا، تسعى العولمة لصبغ العالم بصبغة واحدة، عبر فتح الأسواق والقنوات والتغلغل في الثقافات، مما يجعل البعض يرى فيها خطراً بينا. ومرد ذلك أنها تقضي على النوع، وانها تكشف إن العالم "لا ينمو نمواً يعزز التلاحم والالتئام" (تايلور)، انها على العكس من ذلك: فالعولمة تقود في نظر الخائفين المترددين الى خضوع للثقافات الأقوى لأنها تضعف الهوية والسيادة، وتخترق الحدود وتعرض الثقافة والاقتصاد والسياسة للغزو المنظم .

ويُدفع الناس لتجاهل ان العولمة انفتاح، وانها تعمل على توعية الناس بحقوقهم السليبة، وتكشف عن عمق الفجوة الاقتصادية المتزايدة الأتساع بين الأغنياء والفقراء المحرومين.

كان السؤال المطروح هو: هل ندخل العولمة دخول مشاركة وندية أو ندخلها كمنفعلين لا فاعلين (اومليل)؟ الواضح حتى الآن أننا دخلناها منفعلين لا فاعلين.

1.5 تحدي دمج الأقليات الدينية والعرقية

الثقافة العربية المعاصرة ثقافة اقصاء: فهي تقصي الأقليات العرقية والدينية. ينسى العرب ان من أشهر إبطالهم صلاح الدين الأيوبي وطارق بن زياد، وهما من اثنيات عرقية غير عربية. وينسون مواقف بنو تميم في فتح فارس والغساسنة في معركة اليرموك، وعيسى العوام وجول جمال، كما ينسون ان من رواد الفكر العربي القديم والحديث رجالات ونساء من أقليات عرقية واثنية. هذا الإقصاء سبب رئيس من أسباب الاقتتال والنزاعات وسفك الدماء في كثير من ديار العرب.

لا نعدو الحقيقة حين نقول ان النظام العربي الحديث قد فشل في تحقيق الاستقلال والكرامة والعدالة الاجتماعية والمساواة للمواطن العربي. والنتيجة الحتمية: قدوم داعش.

1.6 تحدي الاستعمار الإلكتروني والثقافة الهابطة

منذ مطلع القرن الماضي خاض العرب حروب الاستقلال للخروج أولا من التبعية العثمانية، ثم من الاستعمار الغربي، السياسي والاقتصادي. وأخذت الدول العربية منذ منتصف القرن الماضي تستقل تباعا، سياسيا واقتصاديا. وحين ظننا اننا طردنا فلول الاستعمار، اكتشفنا أننا سقطنا في براثن استعمار جديد هو (الاستعمار الالكتروني). لقد حل هذا الاستعمار منذ ثمانينيات القرن الماضي/ مع ظهور الإنترنت والفضائيات، محل الاستعمار الاقتصادي، وهدفه غسل العقول، وتسويق النموذج الأميركي في صناعة الثقافة الجماهيرية الذي فرض نفسه على دول العالم النامي – او دول الهامش. ويتمثل هذا التحدي في طغيان ثقافة جماهيرية هابطة المستوى، ومفرغة من المضمون، ترفيهية المحتوى، محلية المنشأ أو مستوردة، تقدم قيماً اجتماعية وفكرية بعيدة عن مشاغل وطموحات المجتمع العربي وتمثل أطروحات الأيدلوجيات الغربية وخاصة الرأسمالية. هذه الثقافة تؤثر سلباً في مجملها على المواطن العربي، في انتمائه وإنتاجيته وقيمه وتراثه وذوقه ، وتستهدف بالأخص شريحة الشباب.

وعموما تخلو وسائل إعلامنا من تقديم الثقافة الرصينة، التي تساعد على الارتقاء بالعقل والإنسان. في عيد رمضان الأخير، عايدتنا تلفزيوناتنا العربية كما في كل مناسبة، بأهبط عملين عربيين: ريا وسكينة، ومدرسة المشاغبين. ان التركيز على الترفيه الهابط هدفه تخدير المتلقي، وحرق وقته بما لا يرفع من سويته الفكرية والثقافية، بل يسوغ له القيام بالمخالفات تحت شعار خفة الدم. ويذكر في هذا المجال ما قاله أحد مدراء هيئة الإذاعة البريطانية (لورد هيث) ، الذي اعتبر الإكثار من الترفيه إهانة للإنسان ، بله العقل الإنساني (ماكفيل)؟ ألا تهيننا وسائل إعلامنا اذاً طيلة

الوقت؟ ولماذا يفعل إعلامنا وظيفة واحدة، هي الترفيه، مقابل ثمان وظائف للاتصال الجماهيري يجب ان تفعل بتوازن؟؟

1.7 تحدي الانفجار السكاني العربي

في نهاية الخمسينيات ومطلع الستينيات من القرن الماضي، كان عدد سكان الوطن العربي 70 مليونا. الآن يزيد العدد عن 350 مليونا. خلال الخمسين سنة الماضية تضاعف عددنا خمس مرات فهل زادت مواردنا الغذائية والاقتصادية بنفس المقدار؟ فاتورة الغذاء العربي المستورد تزيد ربما عن 30 مليار دولار سنويا. الم يقل جبران خليل جبران: ويل لأمة لا تأكل مما تزرع، ولا تلبس مما تنتج؟ ركزنا على الكم، حتى في جامعاتنا .. أين رسالة الإعلام في التركيز على الكيف ، وهو شعار النجاح والمستقبل الآمن ؟

1.8 تحدي الوحدة مقابل القطرية

تمكن الاستعمار من الوطن فجزأه الى 22 دولة، معظمها فقير بموارد الماء والغذاء. وتمسكنا بعد استقلالنا بحدود رسمها سايكس – بيكو وأقرانه بالمسطرة. صرنا قطريين أكثر من سايكس وأكثر من بيكو. حاربنا بعضنا من اجل الحفاظ على الحدود التي رسماها حد التدمير. كانت أهزوجة الإعلام في الخمسينيات والستينيات تغني لوحدة العرب وتحرير فلسطين. اليوم لم يعد أحد يغني تلك الأهزوجة.

1.9 تحدي القومية مقابل الشمولية

العرب شعب عريق له تراث يعود لألفي وخمسمائة عام على الأقل: بدأ يتوهج مع مملكة الأنباط العربية، وهي أول مملكة عربية في التاريخ أعطتنا هوية الأبجدية العربية التي نكتب بها أشواقنا اليوم، كما كتبناها بالأمس، وكما سنكتبها في الغد. وازدانت الثقافة العربية برسالة سماوية كانت هدى للبرية كما ورد في القول الحكيم: "جعلناه قرآنا عربيا". لكن السقطة بدأت منذ زمن المأمون حين أُسلم زمام القوة للفرس ثم الأتراك، وانتهى بنا المطاف لنصبح مكونا من مكونات العثمانيين الأتراك والمماليك. ننسى دائما اننا أصحاب ثقافة عربية قائدة ومميزة، ونستسلم لروابط غير قومية. الم يحن الوقت لننضج وننهض كقومية متميزة أفضلت على الآخرين ثقافة أنارت عليهم لغة وأدبا وفلسفة؟ لنقرأ ما كتبه ابن فضلان عن شعوب العالم قبل الف عام، ونقارن بين ماضينا ويومنا. اين إعلامنا من قومية تبرز شخصيتنا مستقلة مثل القومية الألمانية والصينية والفرنسية؛ قومية تمارس التعددية السياسية والفكرية وتقبل بالأقليات العرقية والدينية لإثراء فكرها وترفع الصدام الى مستوى النقاش الجاد.

1.10 تحدي خطر التعليم الكمي

حوَلَنا التعليم الحالي الى أصحاب ياقات بيضاء، وحولتنا مساعدات "الطحين الرخيص" الى شعب لا يزرع، وحولتنا انظمتنا ومنها الإعلام الى قوم سلبيين هروبيين. المجتمع يقوى بقوة نظامه التعليمي. لا بد من اعادة النظر فيه. باتباع نظام تعليمي مستورد أمريكي حولنا ايقاع الحياة البطيء الى سريع، واختصرنا زمن التعليم الجامعي الى ثلاث سنوات، وصارت الجامعات تقذف بموجات من الخريجين غير المصقولين الى سوق عمل مترهل. وأهملنا في برامجنا تعليم الأساسيات. فإذا كان الفرد يقضي مع وسائل الاعلام يوميا وقتا معتبرا مع هاتفه وتلفزيونه وجريدته..فهل علمنا أطفالنا وطلاب جامعاتنا كيفية التعامل مع وسائل الإتصال؟ الطفل الذي يتشرب قيم (توم وجيري) يتشرب قيم العنف والقسوة والانتهازية مغلفة بورقة لامعة شفافة فيها متعة آنية، لكنها تغرس في النفوس جذورا تؤثر على الشخصية مستقبلا. قد يقول سائل: ما دام الطفل الأمريكي يرى (توم وجيري) ، اذن فلا خطر على أطفالنا منه. وهذا عين الخطأ. فهل ما يناسب الثقافة الأميركية يناسبنا؟ وهل علينا ان نستهلك ما صنع لتلك الثقافة؟؟ وهل للعنف في مدارسنا علاقة بما شاهده أطفالنا على الشاشات؟

وما نزال نعجب من تلك الجامعات في الوطن العربي التي تعد نفسها طليعية وذات رسالة، ولا تعلم الاتصال والاعلام في كافة التخصصات، وتحله المكانة التي يستحقها في عصر يسمى بعصر الاتصال الرقمي!! على الاعلامي مواجهة سياسات تجذرت ، منها خطر التعليم الجامعي الحالي، الذي لا يعلم التفاعل مع الحياة.

1.11 تحدي المصلحة العليا للوطن

هذا الوطن الذي نهض من ركام العثمانية عام 1916 اثر ثورة العرب الكبرى، وشهدت بطاحه معارك طاحنة ومصيرية، يعامله جيل جديد من الإعلاميين بجفوة وقسوة ، جيل لم يحارب ولم يناضل ولم يتثقف، جيل لم ير كيف أعلى الآباء والأجداد مداميك البناء، وانتقلنا من ليل يطرد السراج ظلامه الى عصر رقمي في غضون مائة عام. على الصحفي الجيد ان يرى نصف الكأس المليئة، تماما مثل ما يرى نصف الكأس الفارغة.

1.12 تحدي المتطفلين على الاعلام:

مشكلة الاعلام انه ميدان مستباح من المختص وغير المختص. يحفل الحقل "بالطفيلين" ، سواء اولئك الذين يمتلكون رأس المال لإقامة مؤسسة اعلامية تروج لفكر معين او لتجارة ما، او اولئك الذين يبعثون برسائلهم عبر الهاتف الذكي دون وعي لقوانين الاعلام الصارمة. تخصص الاعلام والاتصال نظريا يصنف من اصعب التخصصات. وتكون النتائج في جميع الحالات وخيمة على المجتمع.

الخلاصة

ان الاعلامي المتخصص يواجه هذه التحديات بعقلانية . لقد انتقم العثماني حاكم سوريا في الحرب العالية الأولى جمال باشا السفاح من الصحفيين اول ما انتقم، فعلق في ساحتي الشهداء ستة عشرا شهيدا، مسلمين ومسيحيين لا فرق، من بين أحرار العرب الثلاث والثلاثين الذين علقهم في أيار عام 1916، وكانت صرخاتهم الشرارة التي سرعت في إطلاق الثورة العربية الكبرى في حزيران عام 1916.. هذه الثورة الشريفة التي خاض غمارها مائة ألف محارب قاتلوا ببسالة ما بين مكة حيث انطلقت الثورة وصولا إلى دمشق التي رفعوا عليها العلم العربي معلنا تحريرها بعد أربعة قرون ظلام عثمانية..

لكن علينا ان نذكر دائما ان صرخات الصحفيين الذين شنقهم السفاح ذلك اليوم الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل حرية العرب والاستقلال والوحدة، لا تزال دينا علي كل صحفي عربي.

ان هناك تحديات أخرى عديدة أمام الإعلام العربي، تتمثل أهمها في انخراط الإعلامي العربي بجدلية تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة والقضاء على التمييز والدخول بنا الى المستقبل، فالإعلام وحده هو السلطة الرابعة القادرة على التغيير بالمناقشة العقلانية الجادة وبالحوار وبنشر الثقافة الجماهيرية الرزينة المنتمية المجردة بلا هوى وبدون انحياز إلا للوطن ومصالحه العليا.

الهامش

انظر مثلا كتاب **أخلاقيات الاعلام** لمؤلفه سليمان الصالح (منشورات مكتبة الفلاح، الكويت،2002) الذي لايقيم الفرق بين مفهومي الانصاف والعدالة: فهو يتحدث عن "مفهوم العدالة Fairness" في الصفحة 210، كما يتحدث عن "التعليق العادل fair comment" ص 256. ان إساءة الفهم من واضع هذا الكتاب المهم في الأخلاقيات يؤثر سابا على طالب الإعلام فلا يمكنه من فهم النقاشات العلمية التي استمرت قرونا ربما لتطوير المفهوم.

وانظر أيضا: كتاب **أخلاقيات العمل الإعلامي: دراسة مقارنة للدكتور** حسن مكاوي ، الذي تقرر كتبه في كليات الإعلام وتدرس على نطاق واسع، نجده يعاني في كتبه هذا من مشاكل في الترجمة . يضاف إلى ذلك وقوعه في أخطاء الترجمة بصورة تؤدي إلى قلب المعنى وتسفيهه، كما فعل حين حديثه عن مفهوم (المنطق والعقل) المسمى بالانجليزية (Reason) ، فتراه يقول ان الفيلسوف هيوم زعم بان "الخير Good يمكن ان يوجد من خلال السبب Reason" (ص48). ويسترسل مكاوي بقوله ان الفيلسوف الألماني كانط قد زعم "أن مبادئ السلوك والأخلاق يجب الوصول اليها من خلال الأسباب" (ص 49). ويكرر الأمر ثالثة حين يتحدث عن والتر ليبمان الذي جاء بقانون "أعلى من إرادة الناس، وهو قانون السبب The Law of Reason" (ص 52) . بهذه

الترجمات السقيمة ألغى مكاوي عصرا معروفا في الثقافة الغربية الأوروبية، هو عصر المنطق والعقلانية المسمى The Age of Reason، وهو العصر الذي شهد تفجر الإيمان بالعقل والعقلانية والعلم والعلمانية. وقد كتب مكاوي على الغلاف الخلفي لكتابه **أخلاقيات العمل الإعلامي: دراسة مقارنة** ، تعريفا بنفسه وكتابه ورد فيه ما يلي: "دراسة علمية منهجية أعدها **خبير إعلامي متميز** تتسم أعماله بالدقة والموضوعية والتعمق في القضايا التي يتناولها...". ومن كتب مكاوي التي تقرر في الجامعات: **انتاج البرامج للراديو: النظرية والتطبيق؛ ألأخبار في الراديو التلفزيون؛ تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات؛ الاتصال ونظرياته المعاصرة.**

ومثل ذلك كتاب عربه الدكتور صالح ابو اصبع: مناهج البحث الاعلامي من تأليف روجر ويمر وجوزيف دومينيك(صدرت طبعته الأولى عام 1989 وصدرت طبعات أخرى عديدة منه) وحين يتحدث عن الطريقة الحدسية يقول انها "تفترض بأن صحة شيء ما تنبع من دليل ذاتي أو لسبب Stands to Reason " (ص 27) ، وطبعا المقصود في هذا ان "يتقبلها العقل أو المنطق". ونشر المؤلف على الغلاف الأخير أن كتابه هذا "يسد ثغرة في الدراسات الإعلامية"، وفي داخل الكتاب ورد ان المترجم يحمل **شهادتي** دكتوراه: دكتوراه في الاتصال الجماهيري من جامعة هوارد في واشنطن، وشهادة دكتوراه في النقد الأدبي والأدب المقارن من جامعة القاهرة (ص 389).

المراجع

تايلور، فيليب. **قصف العقول**. الكويت: عالم المعرفة، رقم 256 (كما أشير إليه في الموقع الالكتر التالي: http://www.syriastar.com/vb/showthread.php?p=45239

راسل، برتراند. **حكمة الغرب**. جزء 2 (ترجمة: فؤاد زكريا). الكويت: سلسلة عالم المعرفة، رقم 365، 009

شقيرات، أحمد صدقي. **تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني 1425–1922** (المجلد الأول)، اربد، الأردن، 2002.

صابات، خليل. **تاريخ الطباعة في الشرق العربي**. القاهرة: دار المعارف، 1966.

صابات، خليل. **وسائل الاتصال: نشأتها وتطورها**. القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، 1979.

قدورة، وحيد. **بداية الطباعة العربية في استانبول وبلاد الشام: تطور المحيط الثقافي(1787–1706م)**. الرياض–تونس: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية/مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، 1993.

ماكفيل، توماس. **الاعلام الدولي: النظريات–الاتجاهات–الملكية**. ترجمة حسني محمد نصر وعبدالله الكندي. العين: دار الكتاب الجامعي، 2005.

محافظة، علي. **حروب الخليج في مذكرات الساسة والعسكريين الغربيين**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2012.

مروة، أديب. **الصحافة العربية: نشأتها وتطورها**. بيروت: منشورات عويدات، 1970.

الموسى، سليمان. **الحركة العربية: المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1908–1924**. بيروت: دار النهار للنشر، 1977.

الموسى، عصام سليمان . "ثورة الاتصال الرقمية تضع الإعلام العربي على مفترق طرق". مجلة **المستقبل العربي**، العدد 376 تموز 2010.

الموسى، عصام سليمان. **الإعلام العربي الرقمي والتحديات الراهنة**. عمان: نقابة الصحفيين الاردنيين، 2014.

المراجع الأجنبية:

Eisenstein, Elizabeth. The Printing Press as an Agent of Change. New York: Cambridge University Press, 1980.

Innis, Harold, A. **Empire and Communications**. Toronto: University of Toronto Press, 1971.

Mody, Bella. “First World Communication Technologies in Third Wor Contexts”, in: Everett M. Rogers and Francis Balle, eds., **The Media Revolution America and Western Europe**. Paris-Stanford Series, Vol. 11, Norwood, NJ: Abl Publishing Corporation, 1985.

Mcluhan, Marshall. **Understanding Media: The Extensions of Man**. A Mentor Book: New York, 1964.

Mousa, Issam S. The Arab Image in the US Press. New York: peterLang, 1984.

Smith, A. (1980). **Goodbye Gutenberg**. New York, Oxford University Press.

Peterson, Theodore. “The Social responsibility Theory of the Press” in: **Four Theories of the Press,** by Siebert, Fred; Peterson, Theodore; and Schramm, Wilbur. Urbana: University of Illinois Press, 1976.

Seibert, Fred. “The Authoritarian Theory”, in: **Four Theories of the Press,** by Siebert, Fred; Peterson, Theodore; and Schramm, Wilbur. Urbana: University of Illinois Press, 1976

Stephens, Mitchell. “Which Communication Revolution Is It, Anyway”. **Journalism and Mass Communication Quarterly**. Spring, 75, 1, 1998: 9-13